

موسيقيون تونسيون ومغاربة يحتفلون بيوم الجاز العالمي

الرباط - أعلن مكتب منظمة اليونسكو الإقليمي في دول المنطقة المغاربية ومؤسسة "أنيما" الثقافية ومؤسسة "هبة"، أنه سيقام بث عمل موسيقي في فن الجاز يوم 30 أبريل الجاري، بمناسبة اليوم الدولي لموسيقى الجاز، وذلك اعترافاً بقوة وأصول هذا اللون الموسيقي وتأثيره الدولي في التنمية الثقافية.

وأوضح المنظمون في بلاغ لهم، أن إنتاج هذا العمل الموسيقي، الذي سيبدأ بالموازاة مع تنظيم مؤتمر للخبراء على الإنترنت، والذي تم في إطار برنامج "الموسيقى كمحرك للتنمية المستدامة في المغرب وتونس"، يعد ثمرة لإقامة خاصة بالفنانين نظمتها مكتب اليونسكو الإقليمي في دول المنطقة المغاربية بالشراكة مع مؤسسة أنيما الثقافية ومؤسسة هبة.

وأوضح البلاغ أن عازف الكمان الشهير زياد زواري، وعازف العود والباحث في العلوم الموسيقية حمدي مخلوف، حلا من تونس ضيفين على إقامة استوديو هبة في الدار البيضاء بمعية فنانين مغربيين هما عازف الإيقاع المشهور أمين بليحة، والعازفة المرموقة على آلة القانون حبيبة الرياحي، مبرزا أن اليوم الدولي لموسيقى الجاز الذي يصادف يوم 30 أبريل يشكل فرصة لهؤلاء الفنانين لعرض الأعمال التي أنتجوها أثناء إقامتهم.

اليوم الدولي لموسيقى الجاز يشكل فرصة للفنانين من تونس والمغرب لعرض الأعمال التي أنتجوها أثناء إقامتهم الفنية

وأشار المصدر ذاته إلى أن هؤلاء الفنانين سيغرضون أيضا أعمالهم أثناء مؤتمر للخبراء سيحضره العديد من فنانين ومهنيي موسيقى الجاز والموسيقى الحرة لمناقشة موضوع تحت عنوان "ما هي مكانة موسيقى الجاز والموسيقى الحرة في المشهد الموسيقي في دول المنطقة المغاربية؟"، والذي سيكون فرصة لإثارة مسألة الممارسة الحالية لموسيقى الجاز والموسيقى الحرة والوسائل المتاحة لفنانين الجاز اليوم للأداء في المهرجانات الحضورية والرقمية. وخلص البلاغ إلى أن كافة الأنشطة المقترحة ستتنظم على الإنترنت في شبكات التواصل الاجتماعية لمؤسسة أنيما الثقافية ومؤسسة هبة (فيسبوك ويوتيوب)، على أن تبقى مسجلة ليطلع عليها من فاته متابعة البث المباشر.

وليست موسيقى الجاز غريبة على البلدان المغاربية، حيث يجزم الباحث صامويل شارترز بان "الموسيقى الأفرو أميركية تعود جذورها إلى منطقة ما بين نهر السنغال وجنوب غينيا، وهي منطقة خضعت لتأثيرات مغاربية، حيث كانت مدن القيروان وتلمسان وفاس مطلقا لانتشار الحضارة العربية الإسلامية في أفريقيا".

ويتحدث الباحث الموسيقي النمساوي غيرهارد كوبيك في كتابه



فن يشيع المحبة والسلام والفرح



رمز ثقافي تونسي خالد

محنة مثقفي اليسار في تونس أشبه بمحنة البرامكة مع هارون الرشيد

«ماذا فعلت بشبابك؟».. سؤال جليبار نقاش الذي لم يطرحه على نفسه

المشرب، ويحبيه التونسيون بكارهم وصغارهم وينادونه بـ"الجد" أو "عم جليبار" بعد عودته من فرنسا إثر الثورة التونسية سنة 2011.

الشباب والسجن

تمسك نقاش بحلمه اليساري ووطنيته التي لم يجد عنها لصالح أي نزع دينية أو قومية، شأنه في ذلك شأن رفاقه وأبناء الديانة التي نشأ عليها من أمثال سيرج وجورج عده وبقية اليهود التونسيين العلمانيين الذين يفرقون كثيرا بين الانتماء الديني والانتماء الوطني والفكري.

مثل نقاش، في أول جلسة استماع نظمتها "هيئة الحقيقة والكرامة" في 16 نوفمبر 2016 وتحدث فيها عن شتى أنواع التعذيب والمضايقات التي تعرض لها أثناء نظامي بورقيبة وبن علي.

لم يحب الرجل الثماني ذو الابتسامة الدائمة رغم الجراح، واللكنة التونسية المطبوعة بعد سنوات الغربة واعتياده على الكتابة بالفرنسية، كمنفى لغوي وقسري أمام جمع من رفاقه المثقفين الذين كان قسم كبير منهم يكتب بالعامية التونسية، الأمر الذي فهمه العروبيون آنذاك، بأنه تنكّر للدولة القومية رغم أن حركة "أفاق" اليسارية كانت تحوي بعثيين وناصريين.

كان نقاش متحمسا لكل ما من شأنه أن يحصن البلاد ضد الظلم والتشدد وانتهاك المال العام، الأمر الذي جعله يساند عند عودته "الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والإصلاح السياسي والتحول الديمقراطي" رغم انتقاده لسير أعمالها في ما بعد، ويعارض الزعيم الإخواني راشد الغنوشي وحكومة بورقيبة، والذي بن يوسف، والذي اغتيل في فرانكفورت صيف عام 1963.

بعد هذه المحنة التي حلت باليسار التونسي ورموزه الثقافية والفكرية، وشبهها نقاد ومرافقون بـ"محنة البرامكة" في مقاربة لتكتيل الرشيد وبورقيبة بجماعة أزروا مشروع كل منهما السياسي.. مع بعض النقد والكثير من الطموح الثقافي.

اختار جليبار نقاش فرنسا كمنفى اختياري، ولم يفكر في دولة إسرائيل كوجهة محتمة للكثير من اليهود في البلاد العربية، خصوصا فترة ما بعد حرب الأيام الستة عام 1967.

كان نقاش "تونسيا جدا" وأحب البلاد التي تمتد فيها جذوره بل وذاق الأمرين في سبيل حبها، حتى أنه دائم الإصرار على تونسيته في اللبس والمآكل

لم تعرف تونس ماضيا وطنيا وملتقلا لا يولي للانتماء الديني أهمية على انتمائه الوطني مثل الكاتب والمفكر التونسي جليبار نقاش الذي فقدته تونس مؤخرا. لكنه خلد ما عاشه ورآه من أهوال الاستبداد في كتاب شهير عند التونسيين عنوانه "كريستال". ونعود إلى هذا المناضل والمثقف اليساري بعد أن استثار فيديو له محبيه وهو يغني واحدة من أشهر أغاني السجن الشعبية في تونس.

حكيم مرزوقي

تداول تونسيون، أغلبهم من المهتمين بالشأن الثقافي، فيديو نادر يظهر فيه المناضل اليساري التونسي جليبار نقاش الذي يحلو لمحبيه تلقيبه بـ"الجد"، وهو يغني ويعزف على البيانو وأحدة من أشهر الأغاني الشعبية، وأرق ما قدم في أدب السجن على التي الطيلة والمزود (آلة نفخية تشبه القرية)، وكان قد غناها الفنان الشعبي صالح الفرزيط، من خلف القضبان، حين طالت به أيام السجن.

كان الفرزيط (وتعني بالتونسي الصرصار المغني) نزيلا مع جليبار في نفس ذلك المعتقل الرهيب المعروف بـ"الزندالي" في سبعينات القرن الماضي (وهو نفس الاسم الذي أطلق على الموسيقى الشعبية التي أنتجت داخله مع فارق يبدو غير ذي أهمية في تفكير شيخ المناضلين السياسيين التونسيين وقيدوم المثقفين اليساريين، وهو أن "الفرزيط" من سجناء الحق العام أي أنه محكوم بفضية جنائية، أما جليبار فسجين راي.

محنة اليسار

تقول كلمات الأغنية التي لا يزال التونسيون يغنونها في أفراحهم، وبسجن كبير مخاطبة الأم "أرضي علينا يا الأميمة رانا مضامين.. نسنتنى في العفو يجينا عام ستة وسبعين". نعم، فالعفو الذي كان ينتظره جميع السجناء، وعلى مختلف قضاياهم المدنية مرسوم رئاسي في الأعياد والمناسبات الوطنية، أي أنه يشمل سجين الرأي وسجين الحق العام، كما أن "رضاء الأم" أمر يرحوه السجن المثقف كما يرحوه السجن العادي.

الأبعد من ذلك كله، هو أن المثقفين اليساريين والعلمانيين في ذلك المعتقل الرهيب، كانوا يصومون رمضان تعاطفا مع عامة المساجين وسعيا لكسب ودهم فيما يُعرف بالسلوك الذي ينبغي أن يكون عليه "المثقف العضوي" وفق مفهوم المنظر اليساري الإيطالي أنطونيو غرامشي.

وكانت السلطات التونسية قد اعتقلت جليبار نقاش في سبتمبر 1968 وحكمت عليه بـ14 سنة سجنا لنشاطاته السياسية



خطبة نقاش كريستال

المثقفون اليساريون

والعلمانيون في تونس كانوا مثالا على "المثقف العضوي" في سلوكهم مع غيرهم خارج المعتقلات ودخلها

يذهب نقاش بعيدا في حالات التأمل التي تسمح بها وحشة الصحراء وعمته السجن، فيركن إلى تفاصيل يتأملها بدقة، ولا تخطر على بال إنسان عادي فيروفي في كتابه الأعجوبة، وبلغه أقرب إلى السينما "تتساهد أحيانا حُببَات الغبار تتراقص في شعاع الشمس. ومن الدهش، أنك تستعيد ردود فعل الطفل الذي كُتبه، فالغبار منتشر في كل مكان من الغرفة، وأنت تتنفسه باستمرار، ولكنك لا تراه إلا عندما يمر عبر الأشعة التي تتسلل عبر النافذة".

وكما قال محمود درويش، في وصف حالات السأم بقوله "تفعل ما تفعل السجناء والعاطلون عن العمل.. نرتي الأمل" فإن نقاش، بوغل في هذه العوالم العينية حتى يلامس التجريد التشكيلي بقوله "تلهو بلضع دقائق أو بلضع ساعات، بتوجيه دخان سيجارتك نحو شعاع الشمس، والنظر إلى الدوامات التي يحدثها وتسعى إلى فك تلك الأشكال، ومحاولة خلق أشكال أخرى...". علينا أن نتذكر بان جليبار له كتاب اعترافات آخر تحت عنوان "ماذا فعلت بشبابك". فماذا فعلت بشبابك يا جليبار، ألم تندم؟ ألم تراجع ما ذهبت إليه وتعيد تقبيحه.. هل يستحق الحلم كل هذه التضحيات أيها "التونسي جدا".. علما أن عنوان الكتاب هو خبري النزعة وليس استغفاميا أو استنكاريا.